حوار حول الصين .. والحب والعفة !

بقلم البرتو مورافيا
ترجمة وحيد نقاش

ب : اذن فانت عائد من الصين (*) ؟

أ : نعم أنا عائد من الصين .

ب : ما اعظم شيء اثر فيك هناك ؟

أ : الفقر .

ب : الفقر ؟

أ : نعم .

ب : وهل الصينيون فقراء ؟

أ : بحسب الفكرة التي يكونها الناس في بلدان الغرب عن الحياة المريحة اقول لك نعم ان الصينيين فقراء .

ب : وما الانطباع الذي خلفه في نفسك فقرهم ؟

أ : شعرت بالعزاء .

ب : يا للشيطان !.. ان الفقر فيما أعلم معناه التدهور والحرمان. وأنت تقول انه قد سبب لك شعورا بالراحة والعزاء ، فكيف يمكن ان يحدث هذا ؟

أ : انا على يقين من انني احسست بذلك ، فلا يمكن للمرء ان ينخدع في مثل تلك المشاعر . أحسست به طوال الوقت الذي مكثته في الصين . ولكنك تسألني لماذا ؟. انني لم افكر بعد في الامر ، ولسوف اعمل فيه ذهني الآن واحاول ان ارد عليك .

ب : في الغرب لا يمكن للفقر ان يمنح أي احساس بالعزاء بل انه على العكس يبعث في النفس شعورا بالقهر ويخلق الرغبة في التمرد . خذ مثلا زنوج امريكا الذين يحرقون احياءهم المنبوذة .

أ : في الولايات المتحدة يوجد الفقراء ويوجد الاغنياء . والفقراء فقراء لان هناك أغنياء . والاغنياء اغنياء لان هناك فقراء . اما الصين فليس فيها الا فقراء فقط .

ب : هذا صحيح .. كل الناس فقراء في الصين . كان ينبغي ان افكر في هذا .

أ : الجميع فقراء ، نعم . ولكن تسميتهم بالفقراء غير لائقة . يجب ان نبحث لهم عن اسم آخر .

ب : مثلا ؟

أ : الحق انني لا اعرف . فليس هناك كلمة يمكن ان نشير بها الى الفقير في حد ذاته دون مقارنته بالغني .

ب : ولكن ماذا يمكن ان يكون الفقر الصيني اذن ؟

أ : استطيع ان اقول انه عدم وجود الغني . أي انه بمعنى آخر ، في حقيقة الامر ، الحالة الطبيعية للانسان .

ب : وضح ما تعنيه .

أ : المسألة في منتهى البساطة : يولد الانسان مجردا من كل شيء ، عاريا مثل الحيوانات في الغابة . وحين يولد لا يكون قد اصبح بعد انسانا . وحتى يصير كذلك فانه يجتلب لنفسه كل ما من شأنه ان يجعل الانسان انسانا من دون كل الامكانات الاخرى . وبمعنى آخر يأتي لنفسه بما هو ضروري للانسان حتى يتميز عن الحيوان . وذلك لان الانسان اقرب ما يكون الى الحيوان يسري عليه ما يسري على بقية الحيوانات حتى اننا لنتساءل غالبا هل يستحق الامر عناء ان يصبح الانسان انسانا . والفقر يتضمن ما هو ضروري ليكون الانسان انسانا. هذا الضروري موجود عند حدود الفقر ، بل انه الفقر ذاته ، لا اكثر ولا أقل . وفيما وراء هذه الحدود يبدأ الثراء ، أي الكماليات . غير ان الفقر انما هو الحالة الطبيعية للانسان لان الثراء ـ الذي هو الكماليات ـ لا يجعل منه انسانا اكثر مما هو طالما ان الفقر قد جعله انسانا من قبل بالفعل .

ب ـ كون المرء ثريا هو اذن في رأيك حالة غير طبيعية للانسان ؟

أ ـ نعم ، غير طبيعية ، وغير انسانية كذلك .

ب ـ وماذا يمكن ان تكون تلك الحالة غير الانسانية ؟

أ ـ هي اعطاء معنى لكل ما هو كمالي او زائد عن الحاجة .

ب ـ ما هو كمالي لا معنى له ؟

أ ـ بالتأكيد ليس له أي معنى ، والا لما كان كماليا او زائد عن الحاجة .

ب ـ قل لي : متى يتعدى الانسان حدود الضروري ، أي حدود الانساني ، ويدخل في منطقة الكمالي ، أي غير الانساني ؟

أ ـ فلنرجع الى الصين اذن . ان الصينيين اذا حكمنا عليهم بما نراه في الشوارع ، انما يحصلون على الضروري . اما الكمالي فليس لديهم ، على الاقل في هذه الفترة . هم فقراء كما سبق ان قلت لك . ومع ذلك فلا يستطيع احد ان يشك في كونهم متمتعين تماما بصفات البشر ، ولا يستطيع احد ان يفكر في ان شيئا ما ينقصهم وان هذا الشيء هو الثراء ، أو ما يمكن أن يمنحهم الثراء اياه : أي الكماليات . لقد كنت في الصين منذ ثلاثين عاما . وكان هناك فقراء في ذلك الوقت، أناس كان لديهم بالكاد ما هو ضروري للبقاء وكان هناك اثرياء ينعمون بالكماليات . الاولون كانوا منتهورين على حين كان الآخرون غير انسانيين . وما كاد الاثرياء يختفون مع كمالياتهم حتى اصبح الفقراء كائنات بشرية ، ولو لم يكن في متناول ايديهم في هذه اللحظة غير الضروريات القصوى .

ب ـ ومع ذلك فان الثراء والوفرة يحملان في داخلهما شيئا من البهجة والسعادة والحيوية . انا لا اعارض من ان الضرورة القصوى تكفي لخلق الانسان ، غير ان لها طابعا حزينا .

أ ـ ولكن الوفرة غير موجودة في العالم الحديث : الانتاج فقط هو الموجود . وليس في هذا شيء من البهجة ولا الحيوية .

ب ـ وأي فرق تراه بين الانتاج والوفرة ؟

أ ـ الوفرة هبة الطبيعة لا تكلف تعبا ولا وقتا ولا مالا وما خلقت لتستهلك حيث انها تخاطب الخيال . اما الانتاج فعلى العكس يتطلب تعبا ووقتا ومالا ولذلك فهو لا يمكن ان يكون الوفرة ابدا . فليس الانتاج الا تكرارا ، انه يعيد خلق الشيء نفسه في مجموعات ليلبي حاجة للاستهلاك تتزايد باستمرار .

ب ـ اذا شئت . ولكنك ستوافقني على انني اذا قلت للصينيين بأن فقرهم هو الحالة الطبيعية للانسان لامكن ان يحتجوا على هذا الكلام . فمن المحتمل ان الصينيين في غالبيتهم العظمى ، مع بقائهم عند الحدود ومحافظتهم على اساليب الشيوعية ، يرغبون في ان يكونوا أقل فقرا ان لم يرغبوا في الثراء الحقيقي .

أ ـ محتمل . ولكنني اتحدث عن الصين مثلما تبدو اليوم ، ومفترضا انها ستبقى على ما هي عليه ، وهو افتراض عشوائي بالتأكيد . وبمعنى آخر فان الصين بالنسبة لي هي يوتوبيا قد تحققت . ربما كان

(*) الفصل الاول من كتاب مورافيا « ثورة ماو الثقافية » الذي ظهر حديثا وتصدر ترجمته العربية عن دار الاداب هذا الشهر .

ذلك عن غير عمد وربما كان محض مصادفة ، لا يهم . تلك اليوتوبيا قد تحققت وأنا آخذها كمثال يدعم افكاري . وقد يحدث ان تصبح الصين بلدا مثل كافة البلاد الاخرى ، بما فيها البلاد الشيوعية ذات الولاء السوفيتي ، والتي يوجد فيها فراء لان فيها اغنياء وبالعكس . ولكن الصين في الوقت الحاضر بلد فقير ، والاغنياء لا وجود لهم بها ، انها بلد يمثل الفقر فيه الحالة الطبيعية .

ب ـ انا معك . الانتاج والاستهلاك خارج حدود الضرورة القصوى معناها اللاانسانية . حسن . ولكن من الذي سيحدد ما هو ضروري للانسان وما هو غير ضروري ؟

أ ـ الانسان نفسه او قل الحس السليم .

ب ـ ومع ذلك فقد جاءت فترات من التاريخ كان على المرء خلالها لكي يكون انسانا أن يمتلك قبل كل شيء وان يستعرض الثراء . فترة النهضة على سبيل المثال .

أ ـ فترات التاريخ المختلفة لا تهمني في شيء ، وحتى التاريخ ذاته بشكل عام لا يعنيني . ما يهمني هو الحاضر .

ب ـ اذن فلنتكلم عن الحاضر . واكرر لك : من الذي سيحدد متى ينتهي الضروري ، والانساني والطبيعي ومتى يبدأ الكمالي واللاانساني وغير الطبيعي ؟

أ ـ قلت لك من قبل ان ما سيحدد ذلك انما هو الحس السليم .

ب ـ أنت تثق بالحس السليم ثقة كبيرة .

أ ـ نعم أؤمن بالحس السليم لدى الانسان العادي . فهذا الحس السليم ، في مواجهة الاشياء الموجودة في العالم ، لا يقوم على الذكاء بقدر ما يعتمد على ... ماذا اقول ؟... على الشهية واللامبالاة ، على اللذة والضيق ، على الرغبة والاشباع .. الخ . الانسان العادي ذو الحس السليم سيتضايق ذات يوم حين يجرده الثراء من انسانيته . وعندئذ فسوف يتحرر منه حتى ولو اقسم له فلاسفة الانتاج والكماليات انه على خطأ .

ب ـ ماذا سيفعل الحس السليم تجاه الثراء ؟ اعني كيف سيتصرف للتحرر منه ؟

أ ـ سوف يفجر الحس السليم تجاه الثراء نوعا من الفعل المنعكس . فحين تصل الانسانية الى الدرجة القصوى للانسانية ستواتيها الرغبة في ان تصبح فقيرة وسوف تحقق رغبتها تلك .

ب ـ تلقائيا ؟ بواسطة فعل منعكس ؟. ولكن التصرفات الانسانية تمر بعمليات طويلة معقدة وتمضي في طرق شاقة تكلف غاليا ...

أ ـ تلك ستكون عملية انسانية . والانسان بطيء .

ب ـ وماذا ستفعل الانسانية حتى تعود فقيرة بعد أن كانت غنية ؟

أ ـ لن تفعل أي شيء على الاطلاق .

ب ـ ماذا تعني بذلك ؟

أ ـ أريد أن أقول انها ستكف عن الاستهلاك وان تنتج الا الضروري

ب ـ ولكن الانسان يحب الانتاج ويحب الاستهلاك .

أ ـ أي انسان ؟

ب ـ الانسان ، هكذا ، بشكل عام .

أ ـ لا اعرف شيئا عن الانسان بشكل عام . انسان اليوم ، نعم ، هو كما تقول ، يحب الانتاج ويحب الاستهلاك . ولكن انسان الغد يمكن ان يكون مختلفا تمام الاختلاف .

ب ـ فلنتحدث فيما هو ملموس . نحن نتكلم عن الثراء والفقر الحقيقيين ، كما يمكن ان نراهما اليوم في العالم . فأين يوجد اليوم اكثر انواع الفقر انسانية ؟

أ ـ يوجد في الصين فيما أرى . ولكن في الصين الآن ، بالطبع ، في هذه اللحظة بالذات . فليس من المؤكد أن تريد الصين او ان تستطيع تحويل اليوتوبيا التي تمثلها وتجسدها اليوم على نحو مؤقت ، الى واقع دائم . كما انه ليس من المؤكد أيضا أن تبقى صين الغد خاضعة لنفس الظروف التي تخضع لها اليوم . فاليوتوبيا لكي تكف عن ان تكون مجرد يوتوبيا وتتحول الى واقع لا بد لها من الدوام .

ب ـ قل لي الآن : أين يوجد اكثر انواع الثراء لا انسانية ؟

أ ـ على ما أعتقد فان مكانه اليوم في الغرب .

ب ـ لنأخذ الامور بالترتيب . اولا الصين . فلنسلم بأن يوتوبيا الفقر هناك ، كما تطلق عليها ، أصبحت دائمة ، وتحولت بحسب اقوالك نفسها الى واقع مستمر . فكيف سيفعل الصينيون للحصول على تلك النتيجة ؟

أ ـ ما عليهم الا ان يستمروا بكل بساطة في عمل ما يصنعونه اليوم .

ب ـ ولكنك تعلم تماما أن الصينيين ينبغي عليهم ان يحولوا الصين وان هذا البلد الزراعي يجب أن يصبح بلدا صناعيا . ففقر الصينيين اذن ليس الا الاثر الطبيعي الناتج عن استثمار رأس المال الضروري حتى تؤتي الثورة الصناعية ثمارها .

أ ـ اعرف . ان الصينيين يفعلون اليوم ما فعله الروس منذ اربعين عاما وما فعله الغرب منذ قرن .

ب ـ فلنسلم الآن بأن الثورة الصناعية قد انجزت ، وان فائضا من الارباح يتراكم باستمرار ، وان الاستثمارات تقل ضرورتها شيئا فشيئا . عندئذ ما الذي سيفعله الصينيون برؤوس الاموال التي ستظل تتراكم؟ سيرفعون الرواتب وينشئون صناعة خفيفة للاستهلاك تسمح بانفاق اموال الرواتب. وهكذا تصبح الصين بلدا مثل كافة البلاد الاخرى ، بلدا غنيا.

أ ـ هذا صحيح . ولكنك تنسى اننا تكلمنا عن اليوتوبيا . اليوتوبيا موجودة في الصين ، ويوجد أيضا ما هو أهم ، أعني محاولة جعل اليوتوبيا تصبح هي التاريخ . واليوتوبيا بطبيعة الحال تتوصل الى حلول طوبوية نابعة منها .

ب ـ يسيطر علي الفضول حقا لمعرفة أي حلول طوبوية تلك التي ستتبناها الصين لتحتفظ بفقرها رغم ثرائها .

أ ـ اليوتوبيا ينبغي ان تصبح وعيا قبل كل شيء . وطالما وجد هذا الوعي فلسوف يكون الحل هو خلق الاحساس بأن الثراء خطيئة ، وجرم ، وزلة .

ب ـ لقد تمت هذه المحاولة من قبل مع المسيحية دون التوصل الى نتائج مرضية جدا .

أ ـ ومع ذلك فقد نجحت المسيحية « لعدة قرون » في ان تجعل من الفقر الحالة المثلى للانسان . وتلك نتيجة لا يستهان بها حتى اليوم. وذلك لانني ، كما ينبغي ان تضع في اعتبارك ، لا أتكلم عن كل هذا في المطلق ، خارج حدود الزمان والمكان ، وانما نسبيا ، في علاقته مع الزمن والعالم الذي نعيش فيه . فالحالة التي كانت تقترحها المسيحية كانت محددة بصفة « مثالية » . واعترف بأن ذلك كان حكما مسبقا بالفشل . اما هذه المرة فلا يجب ان نجعل من الفقر « حالة مثالية » . ينبغي أن يصبح الفقر الحل الوحيد بالنسبة للانسان ، حالته الواقعية والعادية .

ب ـ وبأي الوسائل سيتم ذلك كله ؟

أ ـ لاول مرة في تاريخها الوجيز جدا فان الانسانية كلها ستصير غنية وتتمتع بالكماليات . ولن يكون جزء من الانسانية هو الغني فقط ، بل ان البشر جميعا سيصبحون ما تعنيه كلمة ثري . وعندما تعيش الانسانية جميعها تجربة « الانسانية في حالة الثراء » فانها سترغب بالاجماع في أن تكون فقيرة .

ب ـ فلنسلم بذلك أيضا ، رغم ان ثلثي الانسانية في اللحظة الراهنة ليسوا فقط بعيدين جدا عن الثراء وانما شديدو الفقر أيضا حتى أنهم ليتوصلون بالكاد الى اطعام انفسهم . ولكن لنسلم معك بما تقول . سيكون الثراء اذن معتبرا كخطيئة ، وجرم ، وزلة . الا انه مع ذلك لا بد وان يتواجد في مكان ما ولو في خزائن الدول . فماذا سيفعل به الانسان ؟

أ ـ لدي فكرتي الخاصة . هل تذكر الفراعنة ؟

ب ـ وما دخل الفراعنة هنا ؟

ـ التتمة على الصفحة ٧٧ ـ

تتمة حوار حول الصين

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٠ ـ

أ ـ هل سألت نفسك مرة من قبل عن الاهرام لماذا هي عملاقة الى هذا الحد ولماذا انفقوا فيها كل هذا الوقت والعمل والمال ؟

ب ـ في الحقيقة نعم . فلماذا اذن ؟

أ ـ لانه فيما أعتقد كان ينبغي التصرف بطريقة تجعل الانسان لا يمتلك سوى الضروري . أما ما عدا ذلك فقد رمي الى التهلكة . فالاهرام تمثل في وقت السلم ما تمثله الحرب في وقت الحرب . شيء يستخدم في تحطيم الثراء وابقاء الانسان في الفقر .

ب ـ ولكن أين هي اهراماتنا نحن ؟

أ ـ اهراماتنا هي مشروعاتنا العلمية لغزو المريخ والزهرة والقمر، وللسفر في الفضاء بين الكواكب . تلك المشروعات العلمية ، في جانبها الذي يتجاوز الحد ، وفي عدد الناس الذين تستخدمهم ، وفي الكمية الهائلة من العمل التي تتطلبها ، انما هي المعادل للاهرام . فالهرم لم يكن نزوة عابثة في نظام ثيوقراطي استبدادي ، بل كان المحور والمركز الذي تدور حوله حضارة بأكملها . وهذا ما يؤديه في وقتنا الحاضر السفر بين الكواكب .

ب ـ ولكن الولايات المتحدة ، حتى اضرب لك مثلا ، تشن الحرب ولها في نفس الوقت اهرامها ، أي مشروعاتها لغزو الفضاء . ولم يحل ذلك بينها وبين أن تكون بلدا غنيا .

أ ـ الولايات المتحدة غنية « على نحو مؤقت » كما ان الصين فقيرة « على نحو مؤقت » . ومثلما استخدمت الحالة الراهنة للصين لكي أضرب لك المثل على الانسانية الفقيرة اي العادية والانسانية ، فانني سأستخدم الولايات المتحدة لاعطيك المثل على الانسانية الغنية أي غير العادية وغير الانسانية !

ب ـ تتحدث عن الولايات المتحدة أم عن الغرب بشكل عام ؟

أ ـ آخذ الولايات المتحدة كبلد نموذجي للغرب . وحقيقة الامر انني انما اتحدث عن الغرب ذاته .

ب ـ وفي تقديرك ان الغرب لن يبقى غنيا على الدوام ؟

أ ـ بكل تأكيد لن يبقى كذلك على الدوام . انه أيضا يفعل كل ما يلزم لكي يصبح فقيرا . ولكن لنترك المستقبل جانبا ولنبق في الحاضر ، ثم لننظر من آي ناحية يصبح الثراء غير انساني وغير عادي .

ب ـ لننظر في ذلك .

أ ـ خذ فردا من الناس ، لا يهم من يكون ، يريد أن يصنع ثروة عن طريق ابتكار شيء جديد وكمالي تماما . يريد ان يبتكر على سبيل المثال ، حذاء يعزف الموسيقى أثناء المشي . فماذا تراه سيفعل ذلك المخترع حين يتعلق الامر بتصنيع ذلك الحذاء بكميات هائلة وبيعه على نطاق واسع ؟

ب ـ لا أعرف . ربما سيلجأ الى الاعلان عنه .

أ ـ هو هذا بالضبط . سيلجأ الى عملية الاعلان . بمعنى انه سيخلق الحاجة الى الحذاء الموسيقي ، ولاحظ ان تلك الحاجة لم تكن موجودة قط قبل أن يطرح الحذاء للبيع. فما من منتج سيقول « انني أبيع لكم شيئا لا حاجة لكم به على الاطلاق » ، بل سوف يردد دائما « انني ابيع لكم شيئا من المستحيل عليكم الاستغناء عنه » . وتلك العملية التي هي تحويل الكمالي الى ضروري انما هي ذاتها التي تخلق المستهلك .

ب ـ المستهلكون موجودون في كل مكان . وحتى الصيني عندما يشتري لنفسه بنطلونا فهو مستهلك أيضا .

أ ـ كلا ، انه ليس مستهلكا ، بل هو رجل يأتي لنفسه بملبس هو في حاجة اليه ، وبناء على فكرة معينة عن الانسان كونها هذا الرجل ، فذلك الملبس هنا انما يغطي له ساقيه وبطنه وردفيه . اما المستهلك فهو شيء آخر ، انه مجرد امعاء .

ب ـ هو ذا تعبير قوي !

أ ـ نعم ، ان المستهلك أمعاء . فرد يشبه تلك الاجسام البدائية التي تتكون فقط من الفم والماسورة الهضمية وفتحة الشرج . هذه الاجسام لا تفعل شيئا سوى ان تبتلع وتهضم ثم تطرد .

ب ـ ولكن الصيني الذي يبتاع لنفسه بنطلونا هو أيضا امعاء بالنسبة لانتاج البناطيل .

أ ـ يوجد فرق هام . فليس المستهلك امعاء لانه يستهلك بل لانه مقتنع ، مثل تلك الاجسام البدائية ، بأن وظيفته هي الاستهلاك . اما الصيني ، الفقير ، فيشتري لنفسه بنطلونا حتى لا يبقى عاريا . على حين ان المستهلك الحقيقي متهيء لاي استهلاك كان مثل دودة الارض اذ تترك آي نوعية من الطين تمر في ماسورتها الهضمية .

ب ـ أفيكون المستهلك كذلك هو الآخر ؟ دودة ؟

أ ـ لو كانت تلك الكلمات : « امعاء » او « دودة الارض » من قبيل الكلمات التي تبعث الضيق الى نفسك لانها تحمل معنى اخلاقيا ، فلنتركها جانبا . ولنقل بأن المستهلك حلقة تصل الانتاج بالاستهلاك . حلقة انسانية ولكنها ليست شيئا آخر اكثر من حلقة فقط . المنتج والمستهلك يمثلان طرفي دودة الارض التي كنت احدثك عنها .

ب ـ أليس الانسان الا منتجا ومستهلكا ؟ أليس طبيبا ، ولا فنانا، ولا عاملا ، ولا فلاحا ؟

أ ـ بكلمة الانتاج أعني البضاعة او ثمرة الانتاج ، وبكلمة الاستهلاك أعني « الروتج » . وينطبق ذلك على أكثر المنتجات دقة واكثرها اسرافا وعتها .

ب ـ لدرجة ان الانسان الغربي لا يفكر الا في الانتاج والاستهلاك ؟

أ ـ هو هذا تماما !

ب ـ ولا يفكر « في نفسه » ؟

أ ـ « نفسه » تلك التي تتكلم عنها لا وجود لها. أو انها بالاحرى لا توجد الا في هذه أو تلك من اللحظتين المتبادلتين ، لحظة الانتاج ولحظة الاستهلاك . ولكن طالما أن الاستهلاك في واقع الامر هو الذي يحدد شخصية المستهلك ـ اذا كان المنتج الذي لا يستهلك لا وجود له لانه لو وجد لمات جوعا ، فان المستهلك الذي لا ينتج موجود ويأكل في جميع البلاد رأسمالية كانت او شيوعية ـ فلنقل ان هدف الحضارة الحديثة هو الاستهلاك ، او بمعنى آخر افراز الفضلات .

ب ـ افراز الفضلات ؟

أ ـ افراز الفضلات ، نعم . ان تطرد خارج الجسم كل ما يتبقى بعد الهضم. يستهلك المرء بأقصى ما يستطيع وبأكبر تشكيلة ممكنة من الاشياء . والمثل الاعلى للمستهلك هو أن يستهلك ، وهو يجتهد ان يكون على مستوى مثله الاعلى . ولكن النتيجة النهائية هي افراز الفضلات . ان حضارة الاستهلاك هي حضارة الفضلات المفرزة . وكمية الفضلات التي يخرجها المستهلك هي في الحقيقة بالنسبة لذلك المستهلك خير برهان على انه قد استهلك .

ب ـ حسن . بيد أن هذه ليست الا مقارنة ، وهي فوق ذلك مقارنة تنحو منحى غامضا . بقي ان تبرهن انها يمكن ان تمتد الى ابعد من معناها الحرفي الذي يؤكد بأن الانسان لا يفعل شيئا في العالم سوى ان يأكل .

أ ـ تسري مقارنتي أيضا على كل ما ليس بمادة للغذاء ولكنه يستهلك بنفس الطريقة ، بمعنى ان الغذاء الصناعي والافراز الذي يتبقى منه انما يتجاوران دائما ، مثلما يحدث في البيوت العصرية ان نرى المطبخ الى جانب دورات المياه . اذهب الى الضواحي وسوف ترى المصانع بمخازنها الواسعة وافرانها العالية التي يتم فيها الانتاج . وغير بعيد عن المصانع سوف ترى اراضي قاحلة تفرغ بها القاذورات والفضلات والحدائد العتيقة. لقد استهلكت المدينة منتجاتها وهضمتها .وتبرزت بقاياها .

ب ـ أفلا يوجد غير الانتاج الصناعي في مدينة عصرية كبيرة ؟ هناك

ألف شيء آخر ، الثقافة مثلا .

أ ـ هناك الثقافة حقا . المكتبات ، وبائعو الصحف ، ودور السينما ، والتلفزيون ، والراديو . ثم المطبوعات المختصرة ، والمجلات ، وكتب الجيب ، والموسوعات ، وكتب المنتخبات ، والمبسطات ، والترجمات . بيد أن تلك الثقافة انما تستهلك بنفس الطريقة التي تستهلك بها المنتجات الصناعية . انها تزدرد ، وتهضم ، وتطرد في شكل كمية مهولة من الفضلات ، أي العموميات . فمستهلكو الثقافة الذين يأكلون كل شيء لا يتغذون من الثقافة ولكنهم يستهلكونها ويبقون، اذا شئت ، بالمعنى الثقافي ، سيئي التغذية . لان الاستهلاك الثقافي لا ينتج الا البراز الثقافي ، ولا شيء سواه .

ب ـ ولكن ألا يبدو لك كل هذا ، كيف أقول ، تصورا عاما الى حد ما ؟

أ ـ من المؤكد انه تصور عام . ومع ذلك فعالم الانتاج والاستهلاك الحديث هو على هذا النحو ، حيث تختفي وراء مظاهره المتعددة فكرة واحدة ، أو بتعبير أدق ، حركة دفع واحدة .

ب ـ ماذا ؟ فكرة الربح ؟

أ ـ كلا ، ليست فكرة الربح . بل شيء آخر . فكرة ، او حركة دفع جديدة ، لم تكن موجودة من قبل .

ب ـ انك تثير فضولي . ما هي ؟

أ ـ بحركة النقود السريعة التي تصاحب دورة الانتاج والاستهلاك يتحول الربح الى المرتبة الثانية ، ولا يبقى هدفا في حد ذاته بل وسيلة لتأمين استمرار الدورة . لا ، ليس الربح اساس تلك الآلة التي تفرز الفضلات . هي صناعة الاستهلاك ، بل هو شيء آخر .

ب ـ ماذا ؟

أ ـ صعب تحديده . يمكن ان نطلق عليه « ارادة القوة » . والواقع أننا سنكون أقرب الى الحقيقة اذا دعوناه «الخوف من العجز». وماذا تراها تعني القوة في الحضارة الصناعية ؟. انها المقدرة على الانتاج ، أي في واقع الامر المقدرة على محاكاة الطبيعة . والطبيعة قوية لانها تنتج بافراط ودون توقف . والانسان الطبيعي قوي لانه يتكاثر . وهكذا فان القوة في حضارة الانتاج والاستهلاك تقوم بالتحديد على ان تنتج بأكثر ما في وسعها . وبهذا المعنى تأتي عملية الانتاج قبل عملية الاستهلاك . بيد انه من الواضح انه لو لم يكن هناك استهلاك لما كان هناك انتاج .

ب ـ وماذا يمكن ان يعني هذا ؟ ان الحضارة الصناعية تريد ان تنافس الطبيعة ؟

أ ـ نعم ، هذا بالضبط ما أريد ان أقوله . الخوف من العجز ، ولذة ممارسة قوته التي تدفع بصانع السيارات الى انتاج عدد دائم التزايد منها ، انما تقوم على نفس قوة الدفع الخلاقة العمياء التي تدفع بسمكة السردين ان تبيض كل عام الملايين من البيض ، بمعنى ان تدفع الى الوجود بالملايين من سمك السردين . ومن حسن الحظ ان هذا البيض يلتهم بواسطة اسماك أخرى تضع بيضا بدورها يلتهم من جديد بواسطة اسماك أخرى وهكذا ... والحضارة الصناعية هي صورة دقيقة لعملية الانتاج التي لا يعتريها الكلال في الطبيعة ، وهي تنحو مثل الطبيعة تماما نحو وضع نفسها خارج الزمن ، بمعنى انها لا تريد ان تأخذ بعين الاعتبار مدى طول الحياة البشرية ، وبدورانها المتواصل بين الانتاج والاستهلاك انما تعتبر في واقع الامر معادلا لخلود الطبيعة. ولكن ثمة فرقا بين خلود الصناعة وخلود الطبيعة .

ب ـ أي فرق ؟

أ ـ لا تعرف الطبيعة ما تصنع ، وربما من أجل هذا السبب نفسه بالتحديد ، فان ما تصنعه تجيد صنعه . والحضارة الصناعية على العكس من ذلك تأتي عليها لحظة ، لحظة واحدة من الوعي ، وهذا يكفي لكي تنهزم في مباراتها مع الطبيعة .

ب ـ وما تلك اللحظة من الوعي ؟

أ ـ انها اللحظة التي يرى فيها الانسان ، الذي هو الحلقة التي لا غنى عنها بين الانتاج والاستهلاك ، يرى فيها نفسه ويتأمل نفسه . في تلك اللحظة يرفض الخلود الذي تقدمه له الصناعة .

ب ـ وهل يقدر المستهلك على فعل ذلك ؟

أ ـ المستهلك انسان أيضا وقبل كل شيء . وهو يأخذ من الانسان على نحو ما مقدرته على التأمل . انه يرى نفسه بنفسه ... وينتبه عندئذ انه اذا كان صحيحا بالنسبة للطبيعة ان تنتج وتستهلك الى ما لا نهاية ، فان الانسانية على العكس ليست ملزمة بالانتاج والاستهلاك على هذا النحو اللانهائي ، بل ملزمة على الاصح بأن تعبر عن نفسها داخل حدود معينة من الزمان والمكان تضعها بنفسها .

ب ـ أفيكون ذلك هو الفرق بين الانسانية والطبيعة ؟

أ ـ نعم اعتقد أنه ذاك .

ب ـ ولكن الا يستطيع المرء بكل بساطة ان يعبر عن نفسه وهو ينتج ثم وهو يستهلك ؟

أ ـ سبق ان قلنا بأن الحضارة الصناعية هي حضارة افراز الفضلات ، وهذا معناه ان هدفها لا يمكن ان يكون شيئا آخر سوى هذا الافراز . ماذا يصنع المرء عندما « يتبرز » ، ربما كان يعبر عن نفسه..؟

ب ـ كلا ، انني اقول بأنه يخفف عن نفسه ، على اكثر تقدير ...

أ ـ هو ذا ، انه يخفف عن نفسه . أي انه يهيىء نفسه لحالة الاستهلاك من جديد . وهذا التخفيف هو « التبرز » بالتحديد . ولكن لنأخذ حالة الانسان الذي ينتج كثيرا ويستهلك كثيرا ويصاب بعسر في الهضم . لدينا عند ذاك الدواء « المسهل » ، أي الحرب . فالحرب تبدو لا غنى عنها ولا مفر من وقوعها في دورة الانتاج والاستهلاك لتعالج المجتمع الذي ينتج ويستهلك من حالات الامساك المنتظمة التي تعتريه . ففي زمن الحرب يأخذ الجندي مكان المستهلك العادي في زمن السلم ، بمعنى انه يشكل مستهلكا استثنائيا بالقياس الى كثافة استهلاكه وكميته وسرعته وتنوعه . اذ في يوم واحد من ايام الحروب يتم استهلاك ما يعادل استهلاك عام كامل في اوقات السلم . والجندي الذي لم يعد يرضيه استهلاك الخيرات والثروات ، يستهلك الآن حياة البشر : حياة اعدائه أولا ، ثم حياته الخاصة من بعد ذلك . نعم ، لاننا لا ينبغي ان ننسى ان المنتج ـ المستهلك حتى يكون حقا كذلك ، يتحتم عليه ان يكون متكاثرا وسفاحا . فدون تزايد في عدد السكان لا يأتي الانتاج ذو الحجم الهائل، وبدون الانتاج ذي الحجم الهائل لا يوجد فائض انتاج ، وبدون فائض الانتاج لا تنشأ الحرب . أي ان نزعة القتل ليست الا الوجه الآخر للخصوبة .

ب ـ اذن فالحرب استهلاك للبشر اكثر مما هي استهلاك للخيرات المادية .

أ ـ أي نعم ! ولقد قيل عنها أيضا انها قتل للاطفال يأتي متأخرا عن موعده . ان الحرب هي استهلاك للبشر بشكل خاص ، تنفذه بوسائل عديدة ، ابتداء من الحربة حتى القنبلة الذرية . وبطبيعة الحال لا علاقة للحربة بتكاثر عدد السكان في العالم الحديث لان لدينا القنبلة الذرية . لكن ليس هناك فرق جوهري بين السلاحين اذ يكمن الفرق بينهما فقط في قدرة كل منهما على الاستهلاك . والقنبلة في النهاية مرتبطة بتزايد عدد السكان كما أن تزايد عدد السكان مرتبط بالقنبلة . اريد ان اقول بهذا أنه لو لم يوجد تزايد في عدد السكان لما وجدت القنبلة ، أي لما اخترعها الانسان طالما ان الحاجة اليها لم تكن لتنشأ اصلا . لقد ظهرت القنبلة في عصر العواصم او « التروبولات » التي تضم من خمسة الى عشرة ملايين نسمة لا قبل ذلك . اذن فبين تزايد عدد السكان وبين القنبلة يوجد نوع من « الاستلطاف » ، اذا جاز لي ان اعبر على هذا النحو ، او على وجه التقريب نوع من الجاذبية المتبادلة . فالعواصم الكبيرة الحديثة موجودة لتقدم اكبر انتاج من البشر عرفه التاريخ . والقنبلة موجودة أيضا باعتبارها المستهلك الوحيد الممكن لتلك الكمية الهائلة من الانتاج. ويبدو انه في لحظة معينة لا يمكن تجنب اللقاء بين الانتاج والاستهلاك ليحلا مشاكلهما معا في وئام وحب .

ان القنبلة مالثوسيـــة (١) . فقد تنبأ مالثوس بالقحط كعلاج لتزايد عدد السكان ، وجاءت القنبلة لتحل محل القحط . غيـــر ان مالثوس كان يبرهن على افكاره بمصطلحات حضارة سابقة لعصر الصناعة ، فما تنبأ بأن الانسان سيكف بمنتهى السرعة عن ان يكون مركز العالم ليتحول ـ كما قلنا ـ الى مجرد حلقة تصل الانتاج بالاستهلاك ولا اكثر من ذلك. واعتقد انه كان سيسلم اليوم عن طيب خاطـر بـــأن القنبلة باعتبارها مستهلكا للبشر هي افضل بكثير جدا من القحط والمجاعة .

ب ـ لا تؤاخذني ، لكن هناك شيئا لا أفهمه . ان الانسانية متكاثرة بطبيعتها على أي الاحوال ، أليس كذلك ؟ هكذا كانت في عصور كـــان الانسان فيها مركز الحضارة ، في عصور انسانية ، مثلما هي كذلك ايضا في عصر حضاراتنا الحديثة القائمة على الانتاج . وانت على حق تمامـا في قولك بأنه لو لم توجد هذه الخصوبة لمـا نشأت صناعة المنتجات الكثيرة ، ولما كانت تلك الدورة الجهنمية المستمرة والتي يقال لها دورة الانتاج ـ والاستهلاك . غيـــر أن الانسان كان دائمـــا منتجا للبشر ، وبالتالي مستهلكا للبشر ، حتى من قبل ان يكون منتجا او مستهلكـــا للبضائع المصنعة في مجموعات هائلة .

أ ـ ان الضغط السكاني في العالم القديم لا يشبـــه الضغط السكاني في العالم الحديث . ففي العالم تم ذلك الضغط على مستوى الطبيعة ، مثلما كان الامر بالنسبة للحيوانات تمامـــا . فقـــد كانت الطبيعة ، لا الانسان ، هي التي تتكفل بالتصرف فـــي مواجهة انتـــاج استثنائي من البشر وذلك عن طريق الاستعباد الاستثنائي أيضا والذي تنجزه بواسطة المجاعات والاوبئة . وحتى الحروب ذاتها لم تكن الا نتائج طبيعية على نحو ما للمجاعات والاوبئة . اما في العالم الحديث فكـــل شيء ، على العكس ، يحدث على مستوى الصناعة ، بما في ذلك تكاثـر البشر . وها هنا ، فيما يخيل الي ، ثمة علاقة وثيقة جدا بين الضغط السكاني أو الديموغرافي ـ تكمن في حقيقة أن الانسان ، منتج البشر ، يصبح كذلك منتجا للبضائع ـ وبين صناعة المنتجات الطبية وتنظيـــم المستشفيات . ذلك لان انتاج البشر لا يتم في الخلوة المعتمة العميـــاء لفراش الزوجية بقدر ما يتم بعد ذلك بين الاردية البيضاء التي يلبسها الاطباء والممرضات ، في غرف المستشفيات وقاعات العمليات . انه فـي تلك الامكنة التي تشبه المصانع . كثيرا بكمالها الآلي ، يصبح الانسان منتجا للبشر وليس في فراشه . هنـــا يتـــم انقاذ مستهلكي المستقبل ومنتجي المستقبل من الموت ، الموت الذي ربما كانت الطبيعة الظالمـــة والبصيرة بالعواقب قد هيأتهم له . المستشفيات تخرج البشر مثلمـــا تخرج المصانع السيارات والعلب المحفوظة .

ب ـ وهكذا فأنت تعتقد بأن الانسان الحديث مـــن الآن فصاعدا وبشكل محتوم لن يكون الا منتجا ومستهلكا للخيرات المادية وللبشر ؟

أ ـ نعـم .

ب ـ يخيل الي انني استطيع ان افهم ، بحسب طريقتك فـــي التعبير عن نفسك ، انك تنفر من ذلك نفوراً عميقا .

أ ـ هـذا صحيح .

ب ـ اذن فما الحل الذي تقترحه ؟

أ ـ لا أرى غير حل واحد . وهو فوق ذلك الحل الوحيد الـذي يعتمد على الانسان اعتمادا مباشرا .

ب ـ مـاذا ؟

أ ـ العفـة .

ب ـ العفة ؟ انها حل قاس الى حد ما ، أليس كذلك ؟

أ ـ أجل ، العفة . ان الفقر والعفة اذا ما تأملناهما جيدا لوجدنا انهما الحالة الطبيعية للانسان ، او ينبغي ان يكونا كذلك اليوم علـى الاقل ، وفي هذا العالم بالذات . لانـــي لا استطيع ان اتصور كيف يستطيع الانسان اليوم ان يكف عن ان يكون منتجـــا ومستهلكا الا اذا اصبح فقيرا وعفيفا .

ب ـ اذا كنت قد فهمت جيدا ، فان الانسان الفقير لا يستهلك ، واذن فهو ليس بحاجة لان ينتج . والانسان العفيف من ناحيته لا ينجب للعالم اطفالا وبالتالي فهو يفرغ حضارة الاستهلاك من محتواها الخاص بها ، اي من ضرورة اشباع حاجات الجماهير الغفيرة . لا أطفال ، اذن فلا جماهير غفيرة . لا جماهير غفيرة ، اذن فـــلا انتاج ولا استهلاك . هذا صحيح . بل هو ايضا صحيح جدا .

أ ـ لقد فهمتني خير الفهم . ولاحظ فوق ذلك مدى التشابه بين العملية التي تؤدي الى فائض الانتاج وتلك التي تؤدي الى زيادة عـــدد السكان . ضع مكان الآلة الرئيسية (التي تنتج الادوات) ـ وهي أم الاجزاء العديدة في الآلات ـ عملية العناق ، الذي هو آلي أيضا ، بيـن زوجين من البشر في اعماق فراشهما . سوف تحصل على ثمرة الانتـــاج في مجموعات مصنعة بنفس الاسلوب . اننا نستطيع ان نتساءل اين هو الفرق ؟. فهنا في الظلمة ، في حالة من الوعي غيـــر الكامل ، بيـــن اليقظة والمنام ، تتحدد ملامح واحد من افراد البشر . وفي نفس اللحظة هناك في آلاف المصانع وسط ضجيج يصم الآذان ، ينتجون ، دائما فـي شكل مجموعات ، ومن أجل ذلك الانسان الذي تحدد ملامحه الآن ، آلاف المنتجات التي سيدفعونه الى استهلاكها بمجرد مولده ، وبمجرد بلوغـه مرحلة الطفولة ، ثم بمجرد نضجه . وهذا الانسان ـ المستهلك ، مـــن ناحية أخرى ، سيتحول الى منتج بسرعة ، بسرعـــة بالغة . وتنغلـــق الدائرة . ولكن حين نتصرف بحيث يكون انتاج البشر اقل مـــن انتاج الخيرات المادية فلسوف نحصل على فائض الانتاج . اما اذا كان عـدم التوازن عكسيا فسوف نواجه تزايد عـــدد السكان (أو فائض السكان بمعنى اصح) . العفة فقط هي التي يمكن ان تكسر انتظام الدورة وتزيل فائض الانتاج وفائض السكان معا ، بما يصاحبهما من موكب بشع تسير فيه الحروب والمجاعات والبؤس . العفة وحدها . والفقر بطبيعة الحال .

ب ـ ولكنك تنسى أن ذلك الزوج من البشر الذي وصفته لتـــوك بنفور لا مبرر له ، حين يتصور المخلـــوق الجديد المرصود للانتـــاج والاستهلاك فانما ينجز شيئا ساميا وعظيما هو فعل الحب .

أ ـ لماذا نطلق كلمة الحب على ما ليس الا علاقة آلية ؟ ان عضو الذكورة يعمل في المرأة مثل محرك المضخة . وعند درجة معينة مـــن الاستثارة التي يولدها الاحتكاك تنطلـــق حيوانات الذكورة ويتحـــدد الطفل . فما علاقة كل ذلك بالحب ؟

ب ـ ولكن من الممكن ان يكون هذا الرجل وتلك المرأة متحابين . لقد كانا يحبان بعضهما . ما ادرانا نحن ؟

أ ـ لا يؤدي الحب الى العلاقات الجنسية ، بل الى العفة .

ب ـ آه ! لم اكن اعرف هذا ! تلك اول مرة اسمعه يقال امامي .

أ ـ انني اقول الآن وفي هذا العالم بالذات ان الماضي والمستقبل قليلا الاهمية بالنسبة لي ولا يعنياني .

ب ـ افصح عما تقصده ، فلست افهمك .

أ ـ اليوم ، هنا ، في هذا العالم بالـــذات ، الحب والعلاقات الجنسية غريبة بعضها عن الآخر ، بل هي ايضا متعارضة ومتعادية . لم يعـــد « الفعل الجنسي » شيئا آخر سوى الانتاج . أما الحب فعلى العكس ... انه الحب . انه الابتكار ، والبحث ، والاشراق ، والسمو ، والتلاقي ، والخيال ، والتأمل . انه كل شيء ما عدا الانتاج .

ب ـ « الفعل الجنسي » ليس فقط سوى الانتاج كما تكرر علينا انت الى حد الملل . انه في غالب الاحيان يتم بين رجل وامرأة يريد كل منهما ان يمنح الآخر لذة متبادلة . والشبق غير منتج . انـه يمكن ان يصبح في بعض الاحيان صورة من صور المعرفة .

أ ـ لكم اتمنى ذلك ! حقا لقد كان تلك الصورة مـن صور المعرفة في ماضينا العتيق جدا ، ماضينا البدائي والسحري . ولكنه الآن ليس الا عملية للانتاج منبتة عما تنتجه . اريد ان اقـــول ان اللذة التـــي يتبادلها الرجل والمرأة اليوم ليس لها أي هدف الى المعرفة . وهـــذا صحيح لدرجة انها لا تختلف الا في الظاهر عن العهـر الذي هو بشكل

---

١ ـ نسبة الى مالثوس (توماس روبيرت) الاقتصادي الانجليـزي الذي ولد عام ١٧٦٦ ومات عام ١٨٣٤ .

فهرست

العدد التاسع ـ أيلول (سبتمبر) ـ السنة ١٦

١ بريء (قصة) ..... اديب نحوي
٦ قصيدتان ..... فدوى طوقان
٧ الرفض العربي والخضوع العنصري ..... أسماعيل المهدوي
٩ حوار حول الصين والحب والعفة ..... بقلم البرتو مورافيا
ترجمة وحيد النقاش
١١ رحلة في شعر الاخطل الصغير ..... حسين مروة
١٤ جسر حي (قصة) ..... سليمان فياض
١٧ تلويحة الايدي المتعبة (قصيدة) ..... ممدوح عدوان
١٨ مهمات التجربة الادبية ..... عزيز السيد جاسم
٢١ اغنية الى فدائي (قصيدة) ..... فوزي كريم
٢٢ البرنقال الحزين وخانة الاستلام (قصة) ..... احمد سويد
٢٤ نجمة في النهار (قصيدة) ..... حسب الشيخ جعفر
٢٦ الزهر (قصة) ..... سامي عطفه
٣٠ جروح فلسطينية (قصيدة) ..... محمد القيسي

قضايا الادب والادباء

٣١ المثقفون والنكسة ..... الدكتور جورج حنا
٣٣ العودة الى الجذور الاولى (قصيدة) ..... عمر أبو سالم
٣٤ العالم الثالث (قصة) ..... نواف ابو الهيجاء
٣٥ آخر المساء (قصيدة) ..... خلدون الصبيحي
٣٦ رائد القصة الحديثة في العراق ..... الدكتور علي جواد الطاهر
محمود احمد السيد
٤٢ صورة مازن (قصة) ..... فضيلة الرفاعي
٤٥ النهجية وما بعد الطلائعية الادبية ..... البرتو مورافيا
٤٧ الدعاء والخندق (قصة) ..... نمر سرحان

مناقشات

٥٤ لِمَ هذه الضجة ؟ ..... عبد اللطيف اليونس
٥٥ رأي في الادب التجريبي ..... أحمد محمد عطية

النشاط الثقافي في العالم

٦١ الاتحاد السوفياتي ..... الشعر والثقافة الحديثة
٦٤ بلغاريا ..... مهرجان صوفيا

قرأت العدد الماضي من الآداب

النشاط الثقافي في الوطن العربي

٦٥ الابحاث ..... محمد عبد الله الشفقي
٦٧ القصائد ..... محمد ابراهيم ابو سنة
٦٩ القصص ..... صبري حافظ

النشاط الثقافي في الوطن العربي

٧١ لبنان ..... معركة ادبية
٧٢ ج. ع. م ..... الدولة العصرية
٧٤ السودان ..... خطوة في التأليف والنشر

واضح وصريح صورة من صور الاستهلاك .

ب ـ يا للاسف . كنت على وشك ان اراك تستثني طواعية حالة الشبق التي تنحو لان تكون صورة من صور المعرفة . فمهما كان ذلك الانسان العف الفقير الذي تنادي به فانه سوف يصبح بسرعة مهددا بالانقراض . فحين تتوقف الانسانية عن الانتاج وعن الاستهلاك وعن الانجاب ... فانها ولا شك سوف تختفي بمنتهى السرعة .

أ ـ لست اقول بأن الانسانية ينبغي ان تختفي ، رغم اننا اليوم لا نعرف تماما الاسباب التي يتحتم من اجلها أن تستمر في البقاء . وانما اقول بأن عليها ان تتخفف من انتفاخها ، اذا صح التعبير ، وان تتقلص، ان تنتقل من حالة الافراط الراهنة الى ابعاد جوهرية . غير انها حين تبلغ مشارف الانقراض فانها ستعثر من جديد بسهولة ، وبفضل الحب نفسه الذي يمكن ان يكون قد كاد أن يقضي عليها ، على اسباب جديدة قوية لان تتكاثر مرة أخرى . ان الامور الانسانية ، مثل امور الطبيعة ، لا تتبع تقدما مطردا يتكون من أسباب تتلوها نتائج ، ولكنها تمضي في قفزات نوعية . ولا أرى أي مانع في أن تأتي من بعد حضارة فائض السكان وفائض الانتاج حضارة اخرى ذات صفات مخالفة تماما .

ب ـ اريد ان ألفت نظرك الى انك تكرر ما سبق ان قاله غيرك من قبل . فكثيرون هم الذين اقترحوا من قبلك « عصورا وسطى » جديدة . وقد تبين من بعد أن ذلك لم يكن سوى الوجه الآخر المنمق والمنحط للحضارة الصناعية .

أ ـ لماذا نتحول نحو الماضي ؟ انني لا ادعو الى عصر وسيط جديد ، وانما اريد بكل بساطة عالما مخلوقا من أجل البشر لا من اجل الاصنام .

ب ـ ولكن التكنيك ، على اهميته البالغة اليوم ، لا يبدو انه يؤدي الى هذا العالم . بل على العكس .

أ ـ التكنيك يمضي اليوم نحو الالتقاء بحاجات الجماهير التي تنتج وتستهلك . ولكنه يمكن تماما ان يغير اتجاهه غدا ، فيسير نحو الالتقاء باحتياجات المجموعات الانسانية النادرة ، الفقيرة ، والقليلة الخصوبة .

ب ـ ماذا ؟ نتحدث عن جزيرة بروسبيرو في « العاصفة » مع الساحر الحكيم وبضعة من الرجال والنساء والشباب الذين لا سلالة لهم يتنزهون على الشواطىء المهجورة تحيط بهم موسيقى سماوية واصوات غامضة وترفرف من حولهم ارواح خبيثة لا ترى ؟

أ ـ لا أدري . والافضل الا نتحدث فيما هو مستحيل الحديث فيه.

ب ـ يبدو لي اننا قد ابتعدنا كثيرا عن الصين التي كانت نقطة الانطلاق في مناقشتنا ، تلك المناقشة التي ليست في النهاية الا مقدمة لكتاب صغير عن الثورة الثقافية . فما علاقة الصين اذن بكل هذا ؟. ان الصينيين فقراء ، هذا نعم ، ولكنهم كذلك بشكل مؤقت ودون ارادة فهم كما اعترفت انت بنفسك في نهاية الامر . اما بالنسبة للعفة الآن فليس الصينيون هكذا بكل تأكيد ، على الاقل بحسب ما تعنيه انت بتلك الكلمة ، وحتى اذا كانوا قد كفوا عن ممارسة الشبق كما كان يقال عنهم في الماضي . بل على العكس فهم ينحون نحو التكاثر ، وهذا صحيح حتى أن الدولة تصرفهم عن الزواج قبل سن الثلاثين . فماذا نصنع بتلك الصين التي كانت سببا في مناقشتنا ؟

أ ـ لن نفعل بها شيئا . وسأكتفي بأن أكرر انني اردت ان اشرح لك وان اشرح لنفسي سبب ذلك الشعور بالراحة والعزاء الذي اثاره في نفسي مشهد الفقر في الصين . هذا كل شيء . وكون اليوتوبيا الصينية الآن شيئا مؤقتا وعابرا او انها ينبغي ان تدوم للابد ، فتلك مسألة اخرى . لقد جعلت انا منها اساسا لهذا الحديث . وهذا كل شيء أيضا !